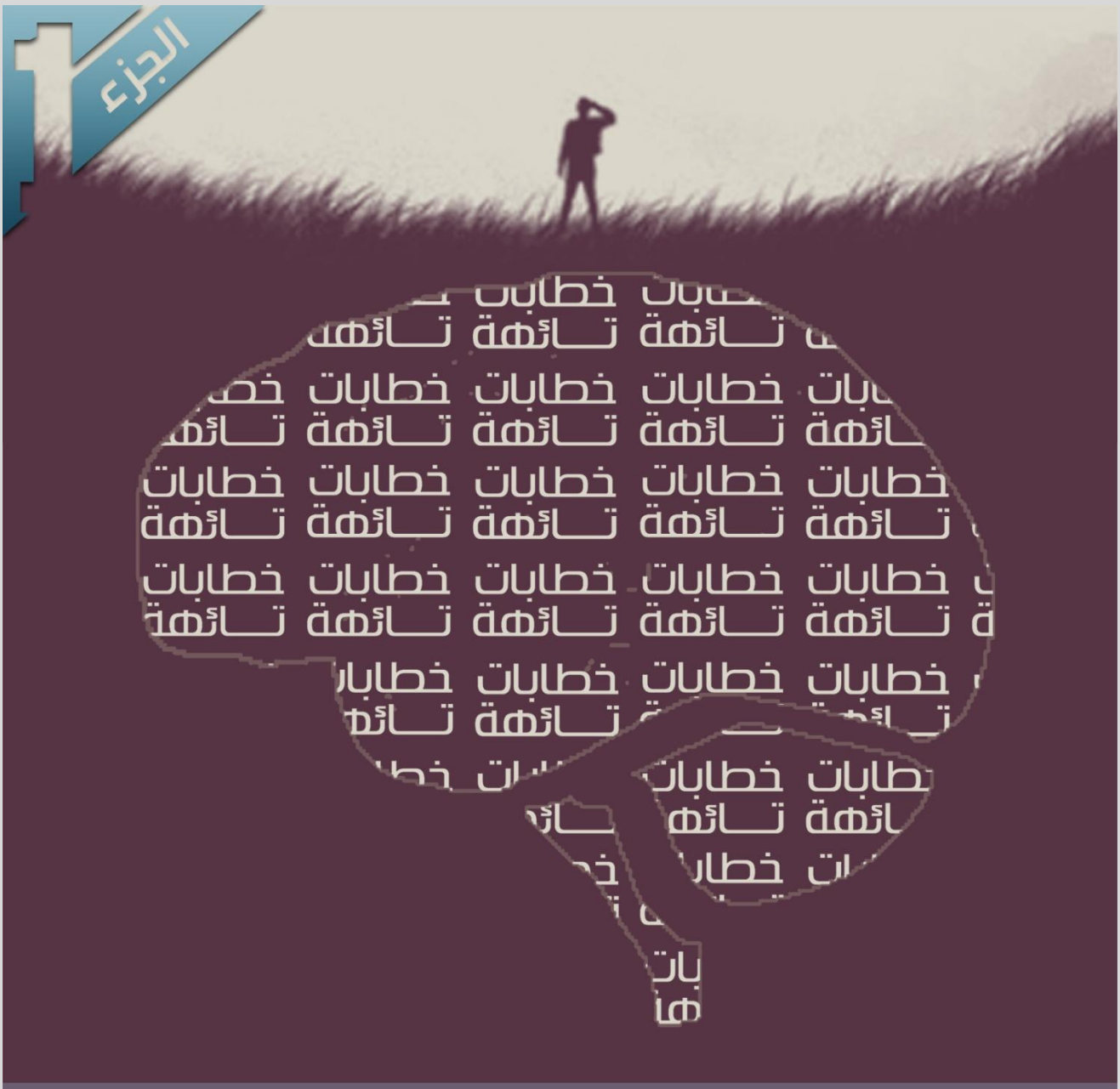

خطابات تائهة

للكاتب

آنس الهود

حول الكَاتب :

مُدون وناشط في مواقع التواصل من المغرب ، ولد سنة 1997 بمدينة الرباط. يدرس حالياً في الأولى باكالوريا علوم رياضيات. مُهتم بمجال التدوين والكتابة والقراءة. يحف مقالاته بشكل دوري على جريدة هنا وطني الإلكترونية ومجلة شبابيك

يمكنكم التواصل عبر :

- حساب على الفيسبوك :
https://www.facebook.com/lenspotter

- جريدة هنا وطني الإلكترونية :
http://www.honawatani.net/

- حساب على موقع جود ريدز :
https://www.goodreads.com/author/show/7801866._

مُقدمة :

كِتاب خطابات تائهة - الجزء الأول ، يمكن إعتباره أول تجربة تأليفية قصيرة لـ أنس الهود ، جمع فيه كوكبة من الخواطِر والقصص القصيرة و المقالات الفكرية والسياسية في شكل خطابات متفرقة وتائهة. سيتم نشر الأجزاء القادمة منه في الاوقات المقبلة إن شاء الله.

كل خطاب يحمل رسالة خفية هدفها التغيير والإصلاح بطرق عدة ، فالخواطر تسعى إلى مس الأحاسيس ومشاعر أناس يعيشون بيننا ، لا نشعر بألمهم وواقعهم المُر. هذه الخواطر ستمنحنا فرصة العيش مكانهم ولو للحظة ، ورؤية مشاعرهم كواقع أمامنا ..

أما المقالات ، فهي خطابات مباشرة لا تقبل تأويلات مختلفة. تعالج الموضوع المطروح من جميع مناحيه ، و تقدم حلولاً لبعض المشاكل الفكرية والسياسية التي نعانيها. ويبقى للكاتب رؤيته الخاصة والشخصية للأمور ، قد يُصيب في إحداها كما قد يُخطئ في أخرى.

أحب أن أنوه بمجهودات الأخ خالد افريقيش ، الذي تكلف بتصميم أغلفة الكتاب الأمامية والخلفية وبعض الإضافات. قوافل من الشكر له ولكل من ساهم في إنجاز وإتمام هذا الكتاب من قريب أو بعيد.

قراءة مُمتعة ..
- أنس الهود

خطاباتٌ تائهَة ،

يبدو أن الجميع غفل عن حقيقة هذا العالم ..
الكل يعيش فيه بنِية براغماتية نيئة ..
بداخل كل نفس بشرية .. نفس أخرى ..
شخصية أخرى ، أفكار أخرى ..
وداخل هذا الكتاب القصير بالذات ، تجدون شخصيتي ..
مبادئي ، أفكاري وأحاسيسي.

وأنت تقرأ هذا الكتاب بالذَّات ، استجمِع قُواك البَاطنية
واسهر على ثَبات سيكولوجِيتك.

– توضيح :

ينقسم الجزء الأول من الكتاب إلى فئتين :
- الفئة الأولى : تراتيل وخواطر : يتضمن عدة قصص قصيرة وخواطر للنفس البشرية ، أحاسيسها وهواجسها ، أحلامها وآمانيها ..
- الفئة الثانية : رسائل فكرية وسياسية : جمعت فيه بعضاً من مَقالاتي القديمة ، أضفت إليها أخرى جديدة ، تنتقد بعض الظواهر الفكرية والسياسية الحديثة على مجتمعنا وديننا.

تراتيـل و خواطر . .

الجـزء 1 - كتـاب خطابات تائهة

كلماتٌ ، تتركز عليهَا أحَاسِيسنا ..

بالكادِ نعيشُها أو نتنفسُها !

.

.

الخطاب الأول : قدرٌ على لائِحة الانتظار !

ارتشف فنجان القَهوة المَنضوض أمَامه ، وهو يتفحصُ بعَينيه المارة ، ويُلقي بَين الفَينة والأخرَى نظرة خاطفة نحو الجَريدة المَلقية على كُرسي بجانبه ، لا تنفَك مآقيه عَن الحَركة يُمنة ويسرة. تستشعر منذ الوَهلة الأولى حَجم الفضُول وحب الاستِطلاع الذي يتسِم به. يُلقبه أصدقاؤه ومعارفُه بالداهية المُحنك ، يُميزه وجه مستدير ومُكفهر وشَاربان مُتدليان تتخللهما بعض شُعيرات الشِيب. عنفوان الوحدانية ونسماتها تحيط به الآن من كل ناحية ، وتلقيه بشذرات الاغتراب وتخزه دون شفقة بإبر الوحدانية والاكتئاب بعدَ أن ترك كل ما يملكه وغادر وطنه صوب صقلية. تأزمت حالته المادية منذ فترة وبلغت ذِروتها البارحة ، كان يعلمُ يقيناً أن السفر إلى هذه المدينة البئيسة لن يفيده في شيء. خاصة وأن والديه أقسما أن لا يُعيلاه منذ مغادرته ، وأقسم هو الآخر أن لا يثنيه هذا عن تحقيق هدفه المنشود الذي لا يعرفه من الأصل.

استوطنت التعاسة والكآبة أحاسيسه ، لم يعد يلقي بالاً للأصدقاء القدامى أو الجدد ولا حتى لعمله أو هواياته. همه الوحيد أن يُكمل ما تبقى له من العمر في هناء ويُسر إلى أن يُلقى به مُرغماً في حفرة مظلمة كئيبة ، ستزيد هي الأخرَى من ظلمات رُؤاه وإدراكه.

في خضم تأمله وهذيانه الأبكم أحَس بأصابع باردة تمس كتفه ، التفت ليعرف من هذا الذي سولت له نفسه أن يقطع خلوته النادرة ويمنع عنه نشوة وحلاوة القهوة. كان رجلاً ضخم البنية ناصع البياض ، له شعر كثيف ومنسدل حتى تكاد لا ترى عينيه ، انبرى صوته قائلاً :

- أريد محادثك يا سيد. هل تسمح لي ؟
- طيب ، لك ذلك أيها الرجل ، لكن عرف عن نفسك أولاً.
- دعك مني ، لن تفيدك معرفتي. أحتاجك في أمر مهم للغاية ، فلتتبعني !
- لن أتحرك من مقعدي حتى أعرف من أنت ؟ !

سكت الرجل الضخم لبرهة ، ثم أردف :

- ستعرف قريباً ، قريباً جداً .. اتبعني فقط !

من الصعب ألا يُدرك الإنسان مصيره وأن أجله قريب لا مَحالة. والخطوات التي يخطوها الآن قد تكون آخر تحركاته ، بل قد تكون المسوغ لفنائه ودماره. والحال يبقى على طبيعته حتى وإن كنا نعلم بقدرنا ، نحن نرضخ له رغم حِذقنا به. فلا أحد يتجرأ أن يتمرد على قدره مهما علت شجاعته وهيبته ، وانقلع عن محياه الجُبن والخوف الباطني.

بعدَ ثوانٍ ملأ الكونَ صوتٌ مهيب ، منادٍ يُحدثه من أعالي السَّماء :

ـ أذعَنت لقدرك المحتُوم ! وفتَحت بمَحض إرَادتك هذا البابَ المَنحوس الذي اعترَاه صَدأ الدَّهر .. فلترقُد بسَلام مِلؤه الكآبة والحُزن.

.
.

الخطاب الثاني : مذكرات كائِن !

23 يونيو 2013 :

أنا مُواطن غريب ، عالة على الوطن برُمته.
وجدت نفسي صُدفة حاملاً لبطاقة تعريف وطنية عليها صورتي البشعة ، حفروا عليها اسمي القذر دون إشعاري. تساءلت مراراً كيف لهذا الوطن أن يعترف بهُويتي وأنا لطالما تهربت من تأدية ضرائب تُغني ميزانيته ؟ وكيف يترك لي مساحة العيش على أرضه والانتساب له وأنا أستنزف ثرواته وموارده دون مقابل ؟

24 يونيو 2013 :

اكتشفت اليوم بالذات أنني طالب ولا أطلب شيئاً ، غير صالح للدراسة أو التعلم. مشوشر الذهن وجاهل المعرفة. تتراقص أفكار أبابيد على جمجمته وهو غافل عنها. وتتوالى عليه المصائب تباعاً دون أي فترة راحة بيولوجية. أخطأ والداي حينما أنجبا مسخاً مثلي يخاف منه قرينه قبل صديقه ، وترتعد فرائص الطفل قبل الشيخ عند أول نظرة ترقبه.

عائق على الكوكب بأكمله ، أشفط دون توقف كمية ثنائي الأوكسجين المتبقية وأساهم بشكل أساسي في إشاعة ثقب الأوزون وإزاحته على سائر سماء الدنيا. أضيف كتلة قاربت ستين كيلوغراماً لهذا الكوكب المَنحُوس. فكيف سمحت لي هذه الأرض بالعيش على سطحها ؟ رغم أنه بإمكانها أن تقذفني بسهولة إلى أفق الكون الخارجي.

25 يونيو 2013 :

يُقال أن الإنسان يختار شخصيته وتفكيره ، فلم أرغِمتُ على الاختيار الأسود هكذا ؟ من الوهلة الأولى تستشعر أنني مجرد دمية تكاد لا تُرى الخيوط التي تحركها. لم يسبق لي أن استخدمتُ قدراتي العقلية الباطنية ولا أود ذلك. أنا مجرد كائن يطبق ما يصله ..

أنا كائن يتنفس بدون هدف ، أعيش مترقباً مصيري وما سيفضي به ، ومنتظراً وفاتي لدفن روحي الهادئة. لا أجد وقتاً كافياً للحديث أو مراقبة الكائنات الاخرى. أنا مفصول فكرياً وذاتياً عن الكل .. جانب إنساني خاص.

26 يونيو 2013 :

لا أرغب في تدوين أي شيء ، دَعيني يا مذكراتي ..
دعوني وشأني !

27 يونيو 2013 :

حيثما حل الخراب تجدني ، أعيث في الأرض فساداً ومُتعة وهمجية. لا تفارقني ابتسامة العبودية والانتقام البارد. أنتشي بتذوق دماء حيوانات برية ناطقة تشفي غليلي وعطشي الدائم. وأستمتع برؤية الهلع في عيونها وسماع صوت تدفق الرعب من ثنايا أجسامها الشاحبة ، المُسجاة أمامي.

باختصار ، أنا الـ إنسان الذي لا يَعترف بإنسانيته !

.

.

الخطاب الثالث : نحوَ السعادة التعيسة !

تُعرف الأمور بأضدادها ، وأنا أهِيم بحثاً عن السعادة بين أضدادها .. ولم أجد شيئاً !
لا أدرك حتى معانيها ، ولم أحس بعدُ نشوتها ونسماتها المهيبة تلفح وجهي البئيس.

انتابني أرق عُضال ، يُمسك جفوني من جوانبها ويرفعها للأعلى. يطلق صفيراً مُزعجاً في أذناي. ويطقطق على جمجمتي بحجر افتراضي ، يبث في فِكري الفساد والألم.

أنا والسعادة على رأس جبلين شاهقين لا يلتقيان .. يفصل بينهما وادٍ عميق ، لا يستطيع العاقل أن يفكر حتى في التطلع عليه أو مشاهدته وتأمله. فكيف لي أن أتمنى إيجاد سعادة غابرة في الأفق ، وأنا لم أستطع التنقيب عن ماهيتي وواقعي ، عن ماضي وحاضري .. عن ما يُحتمل أن يكون مُستقبلي وقدري ؟!

في رحلتي الطويلة ، وجدت قالباً شعورياً للحرية. جلست كما رغِبت ، وشهقت كلما أردت ، وراقبت نجوم السماء كما أحببت .. خرجت بمحض إرادتي من شرنقة الرِّق والإحاطة ، فمن ذا الذي يجرؤ على إعادتي إليها ؟

أكملت طريقي ، آملاً أن أجد بصيصاً من هذه السعادة المفقودة.
سرابٌ غادر ، يخدعني ويستغل ضُعفي وتعاستي ليفرض وجوده في الواقع .. وكلما اقتربت منه إنزاح إلى الوراء دون أن يخلف آثاراً مرئية أو ملموسة. أيقنت أنه يجذبني صوب مكان ما في هذا الكون. توقفت لبرهة وعُدت القهقرى .. سرابٌ غادر ، فكيف أصدقه ؟

السعادة الذاتية لها حُلوتها وقيمتها .. أما السعادة التي يُبحث عنها ، فهي عالم آخر من عوالم السحر والرغبة البَهيجة في العيش !

ينتهك الواقع عِرض الخيال ، فيتمخض عنه ذهول ولخبطة بين المشاهدين.
وأنا أعلمُ الناس بما يَجري .. لا تتغير ملامح وجهي الخشن ، وتبقى التعاسة موطنه.

وصلتُ إلى مفترق الطرق ، وانسللت من اللعبة بخُفي حنين .. نظرت إلى نفسي ، وخاطبتُها :
حينما تجدُ السعادة ، أخبرني بإحساسها .. إحساسها فقط !

.
.

الخطاب الرابع : رِحلة .. إلى اللانـهَائية !

تقدمَت الشمس ببُطء ناشرةً ثوبها الذهبي المتشح بالبياض ، تُدثر به ظلمة الليل وسواده. وتوقظ الفجر من سباته ، لتداعب به العيون النائمة وتسهر على تفتحها حتى ترى نور هذا اليوم الجليل.

في هذه الأثناء ، وقف صديقنا على التل المشرف على قريته الدانية ، متأملاً منزله الصغير. نظرة أخيرة ملؤها الخيبة والحسرة على ضياع كل ما يملك ، عائلته وماله ومنزله .. بل وسعادته ! لا يدري آ هي رسالة وداع غير مرئية أم مجرد ترقب عابر يشفي به غليل فقدان منزله و ممتلكاته الثمينة ـ في اعتقاده ـ ؟

بُعثرت أوراقه المتبقية ورُميت في الأفق .. وضاعت رغباته وأمنياته ، وما الأمنِيات إلا مُبتغًى بعيد المنَال ، يُنير تارة .. ويغيب تارة أخرى.

افتقد السبات في الأيام القليلة الماضية ، فحتى حبوب النوم تعودت على الصَّحو مثله ..
ولم يغمض لها جفن أو حتى تثاءبت مُنذ فترة.

مع مُرور كل ثانية ، يمُوت حُلم جديد. تجف أوراقه وتتساقط أمنياته
كأوراق الخريف على أقدامه المُسودة.

أمال رأسه في رؤية أخيرة ، متذكراً معها كل ذكرياته السوداء التي جمدت تفكيره وتطلعاته ، وجالت بين دواليب جسمِه ، وقذفَت بالأدرينالين بين ثنايَاه. أحسَّ بقشعريرة تَسري دَاخله وخَوف شعوري يُمسك بتلابِيبه.

حَطَّمت الظرُوف الغَادرة فؤاده وهدمَت نزواته ، بل شَاءت أن تَتركه وَحيد العِشرة لا يؤنس وحدته سوى دُخان سيجارته النَتن ، يُتلف بها رئتَيه المُختنقتين ويقترب رويداً رُويداً من حاجز المَوت المُتلاشي.

قرَر أن يُغادر قريته ومَنزله ، ينسَى المَاضي وهَفواته .. ويَنظر صَوب مستقبل ضَبابي ينتظره.
لا يعرف بالتحديد مقصده ومآله ، ولا حتى غاياته وأهدافه القادمة .. وهل بإمكَانه نِسيان مَا قدمه له القدَر من حُزن وهَمَّ.

سَيبدأ رِحلته من هُنا ، بلا زَاد .. بلا مَأوى !

.
.

الخطاب الخامس : رسَالة أب !

نَظر إليه بامتِعاض وهو يُقلب كفيه على مَا أنفق عليه لسنوات مَديدة .. نعم إنه ابنُه ، لكنه لا يعدو كونه طُفيلي لم يَستفد منه أحد مُنذ طَلَته عَلى هَذه الدنيا ، بَل يَنهل في أموال وَالده مراراً و بدون جَدوى.

أبٌ بَذال ، لم يتوَانى عَن مَنح ابنه كل ما يَتمناه ، يمنُ عَليه مُنذ نُعومَة أظافِره ويَسدُّ بؤر نزَواته.
يشتري له ما طَاب مِن مَأكل وملبس وألعاب ، يُرفِه بها الابن عَن مَلله ويَنسَى كل نَواقصِه ووَحدَته ، و يَستعيض به غيَاب وَالدته.
لكن .. سُحقاً ! تعدت أمواجُ هذا الاهتمَام من حُب الأبوة إلى نَبذ وتنَافر بينهما.

ثِمار الحنق والضجر أينعت ، وجنَّت على حَياته ، الأب البسِيط تَعب كل التعَب من اتكال ابنِه. ولم يعُد يقوى على إتمَام نفقته وتربِيته ، اهتمَامِه واعتِناءه كالسَّابق ..

بدأت أنظار الاحتقار تنبع من عيني الوالد ، شرارات السأم تتطاير من تعابير وجهه الذي اعتادت الهدوء والابتسامة سابقاً. وتغيرت المفاهيم والتصرفات ، كأن الأب يُريد أن يوصل لابنه رسالة خفية فحواها :

لقد تعبتُ يا بُني ، لن أستطيع مُواجهة الصعاب بعدَ الآن !
اشتعل رأسي شيباً ، وغزت التجَاعيد وجهي المكفهر ..
وتدَلى شارِبي من جانبيه ، وتلون بيضاً ..
تَوقفت عن العَمل وانخفض مَدخولي ، ولن أتمكن من تأمين مَطالبك ورتقِ حاجياتك ..
سوء سلوكي معك في الآونة الأخيرة لا يعكس كُرهي أو نفوري ..
أنا أحبُك كما أحَببت وَالدتك الطاهرة التِي أنجبتك من أحشَائها ..
لكنني أتمنى لو استشعَرت ألَمي بشيخُوختي ، وأنت مَا تزال في ريعَان الشبَاب ..
ضاع حُلمي بأن أمَهد لنجاح مُستقبلك وحَياتك ..
سامحني يا بُني ، حَتى وإن مَنعت عَنك نفقتي ومَالي ..
فلن أبخل عَليك بدُعائي للمولى عز وجل أن ييسر أمُورك ويُحقق أمَانيك.

.
.

الخطاب السادس : هواجسٌ ليلية !

اسْتفاق فَجأة من نومِه ، دفع الغِطاء الثقيل عَنه ورمَاه على الأرض ..
أحس ببرودة الأرض تُضعف قدميه ، وهُو يحَاول جاهداً الوقُوف عليهِما.
خَرج من مَنزله في سَاعة مُتأخرة من ليل شتوي خالِص ، لم يستوعِب السَّبب الذي حمله على الخروج بهذه الحَالة خصُوصاً في هذا الجَو البارد والظلام الحَالك ..
استطرد رغبته المثيرة في تأمل بُحيرة قَريبة.
هل هو جُنون مفاجِئ أم مجرد أحلاَم يقظة عبثت بوعيه ؟

قيلَ أن اكتمَال البدر يُخفض مَدار الثبات النفسي للشخص ..
استراح للفِكرة ، فاتَّهم البدر .. ومَضى !

وقف للحظات أمام البُحيرة ، يسمع صَوت ارتطَام الرياح بمِياهها ، ومَد الأمواج الصغيرة تأتي وترُوح في هدوء وسَكينة.

أحس برغبة عارمة في مُحادثة أخيه الأصغر ، وفكر فِعلياً في ذلك ..
لكن ذكرَ نَفسه لمرة أخيرة أنه تُوفِي منذ سنة .. كان جهَادياً ، وسيفاً في وجه منافقي الأمة ، وأراد طيلة حياته أن يمُوت مُضرجاً في دمائه الزكية .. على الأقل تحققت أمنية أخيه.
ابتسم بمرارة ثم أغلق عينيه لبُرهة.

مَر عليه في هذه اللحظات ، شريط يحمل ذكرَيات طفولته السَّعيدة والحزينة ..
فتح عينيه مُسرعاً محاولاً تفاديها ونِسيانها ..

ليَتساءل بصَوت جهري :
- " هل أنا شخص عادٍ ؟ وهل يُمكن لشخصٍ طَبيعي أن يَخرج في هذا الوقت ويترك لذة النوم الجاذبة ليرى بُحيرة صَامتة ؟ وهل يحدث أن يتكلم عَاقل مَع نفسه كما أفعل الآن ؟ "
فكرَ ملياً وقال :
- " لعلها تخاريف الليل وتأثير التعب. "
ثم قفل عائداً صَوب بيته ، وقد اطمأن أنها مُجرد هَواجس ليلية ..

.
.

الخطاب السابع : مُطاردة !

انجَلى مِن العَتمة ظلٌّ مُسرع ، مرَّ بسُرعة خاطِفة ، بالكاد تستطيع لَمحه وسماع صوت الشهيق والزفير الذي يُطلقه .. شعر أنه استنزف طاقته ، وخَارت قِواه بالجري .. حَاول الصُراخ ليستنجد بأحدهم ، عبثاً ..
تطلع للوراء ليراقب الشخص الذي يُطارده منذ نِصف ساعة ، لكنه لم يَجد أحداً. الشارع فارغٌ إلا من بعض حاويات القُمامة والقطط التائهة التي تبحث عن طعام ومأوى. اقتنع أن مطاردَه قد تَعِب وعاد أدراجه ، فتوقف ليلتقط أنفاسَه ويَسترجِع مَخزونه الطَاقي.

لم يعلم بعدُ سبب هذه الملاحقة المُرهقة ، ولمَ ضيعَ هذا الشخص وقته سُدى وتراجع في الأخير عن مُلاحقته ؟

كان إياد يعمل مُديراً لشركة تصنيع العصائر ، وفي طريق عودته إلى المنزل ، قطَع شخص مجهول هدوءه وحاول ايقافه ، فما كان له إلا أن أطلق ساقيه للريح وفرَّ منه ، لكن المجهول طارده.

رغم أن شهرته تعدت مدينته إلى البلاد بأكملها ، لكن منصبه العادي لا يجعل منه فريسة يُطاردها الصيادون ، فما سبب هذه المُطاردة ؟ وما يريده هذا الشخص منه ؟ ولم يكلف نفسه عناء البحث عنه ؟ هل يسعى لسرقته أم ابتزازه ؟

في خضم تفكيره وهذيانه ، أحس بيد تمسُّ كتِفه وتُديره ، ثم بخنجر صغير يسلُّ بطنه ..
لم يكد ينتبه لما يجري حتى استلقَى على الأرض ، وتدفقت الدمَاء حوله ..
أنَّ وتأوه ثم سلَّم نَفسه للموتِ.

.
.

الخطاب الثامن : مُناظرة عندَ اكتمال البَدر !

جافانِي السُبات في ليلة حارة من ليالي الصيف ،
فما كان مني إلا أن أمسكت روايتي وفتحتها حيث توقفت سابقاً.
وأنا أهُمُّ ببدء القراءة ، سمعت همهمة في الشارع.

طبيعتي الفضولية حتمت علي أن أطل من شباك غرفتي ، ذهلت بضخامة البدر وهو مُعلق في السماء السوداء وأمتعني جماله ونوره اللامع. انتزعني من تخيلاتي صوت شخصين يتجادلان ، ألزمت شفتاي بالصمت حتى استمع لحديثهما :

- الوهم : دعنا نبدأ حوارنا ، فالناس نيامٌ ..
- الواقع : أنا البادي بالحديث ، ولا أحدَ غيري ..
- الوهم : ولم أنت بالذات ؟
- الواقع : لأنني واقع مفروض على الناس ، ولا مفر لهم منه ..

- الوهم : بل أنا .. فلولا وجودي ، لعاش الناس في كآبة وحزن ، أنا من يبني السعادة لهم بعد الحُزن الذي تُلقيه عليهم وتوفره لهم. فهم في الأخير يلجؤون إلي ويتخيلون بفضلي أشياء تسعدهم وتغير مزاجهم نحو الأفضل.
- الواقع : لكنهم في كل حال يعودون إلي ، وحينئذ يكتشفون واقعاً شديداً.

- الوهم : تخيل فقط العالم بدوني ، كيف سيسعدُ الناس ؟
- الواقع : رُبمَا ، لكنني قدرٌ لا يزُول .. تخيل أنت أيضاً شخصاً يعيش بين ثنايا الوهم فقط ، كيف يستطيع الاندماج مع واقعه فيما بعدُ ؟
- الوهم : أنا أنفِس على البشر كُربهم وكآبتهم ، وأنت تقذفهم إليها.
- الواقع : أنت تجعل البشر يعيشون سعادة عابرة ، ثم تتخلى عنهم. فيبقون في حالة من العُزلة والوحدة بعيداً عن المُجتمع والعالم.
- الوهم : لن نصل إذن لحل مُقنع.
- الواقع : بلى ، فنحن جزءان متكاملان. لا يستطيع أحدُنا العيش دون وجود الآخر ، فهدفنا أن نسهر على ثبات نفسية كل كائن بشري.
- الوهم : أصبت عين الصواب .. بل فقأتها.
- الواقع : هيا ، لننصرف الآن .. البشر سيستيقظون في أي لحظة.
- الوهم : هيا بنا .. للحديث بقية.

أما أنا ، فعُدت إلى سريري الدافئ في حالة من الدهشة. وأنا أخاطب نفسي :
هل ما رأيته قبل قليل واقع أم مجرد وهم ؟
لن يصدقني أحد .. لن يُصدقني أحد !

.
.

الخطاب التاسع : مُتخلف عن الحَرب !

لم أتعود ترويض قلم الكتابة هذا ، منذ صغري وأنا أهوى الخدمة العسكرية وذاك الزي الأخضر المتبختر ، كلما رمقته أحسست برغبة في امتلاكه. وكلما تذكرت والدي المتوفى ، وددت لو خلفته في مهنته كجندي دافع ببسالة عن وطنه ودينه.
منذ صباي وأنا أهوى مشاهدة والدي حاملاً سلاحه ومرتدياً اللباس الإجباري والحذاء الضخم. وكلما استمعت لحديثه عن الثكنة العسكرية ، تمنيت لو أنني قصدتها وتجولت بين دهاليزها.
وهذا ما حدث بالفعل !

* سيدي القائد .. أعلم أن الامر سيزعجك ، ولن تتحمل حديثي لذا ارتأيت أن اقدم لك هذه الرسالة آملا أن تتفهم وضعي وأمري. فانضمامي للخدمة العسكرية كان محض إعجاب تولد عن حكايات والدي ، ولم يكن حُباً في هذه المهنة وتجلياتها.

وما الحربُ سوى مظهر همجي يمثل رغبة في الزحف على الجيران والمساس بأمنهم وسلامهم. يوهمنا بغاية الدفاع عن الارض وهو يتطاول على أراضي الآخرين. ويوهمنا بإبادة الأعداء وهو يمحق الأبرياء دون أدنى شفقة.

سيدي القائد ، وما أنا سوى عبدٍ ضعيف لم يُدرك حقيقة الخدمة العسكرية ومتطلباتها ، فدخل بإرادة بريئة ليكتشف أن المهنة تتطلب قلباً صلباً وبنية جسمانية جبلية تُردي بها أنفاس العدو وتستنفد دماءه من الشرايين.

عُذراً أيها القائد المُبجل ،
أنا أرتعب من ذبح دَجاجة ، فكيف بسفك دماء جُنود آخرين ؟ !

.
.

الخطاب العاشر : همهمة جَماد !

جَلس يستجدي الكلِمات ، ويستدعي حروفاً تفهمه وتؤنس وحدته ،
ويبكي دُموع القهر والظُلم على الصفحات.
بلغه البُؤس حد الثمالة ، وها هو يفكر الآن وبجدية في الانتحار وترك هذا العالم المُظلم.

حتى مذاق القهوة لم يعُد حُلواً كما كان .. وتخللته حمُوضة ومرارة القهر أيضاً كصاحبه.
حاصرهُ اللون الأسود من جميع الجهات ، والأبيضُ كسرٌ وفتات لا ينتهي.

خارت قُواه وانفصلت ، وجرى الحمض اللبني بين أنفاق عضلاته ..
أيامُه تمر مثقلة بالحنين ، يحاول جاهداً إفراغ محتويات ذاكرته من الماضي والحاضر.
ولا أحدَ يُنافسه في تبذير الأيام ، واحتراف الصمت.

ولا يدري هو نفسه لمَ يشعر أن العالم نفاه ، ربما من شدة إحباطه ..
و رُبما من فارق الجفا .. أو لعله هول الدجى في سماواته.

خرج عن صمته الطويل ، وحدث نفسه :
- الأفضل لي أن لا أتوقف أمام تلك الأحداث التي عبثت في هدوئي ..

سأحاول أن أنساها فقط .. ولكن كيف ؟ كيف أنسلُّ منها وهي تجري خلفي كظلي.
أنا أسابقه ، وهو مرافقي ..

في هذه الأثناء ..
أخرج سِيجارته القذرة وشرعَ في مص محتوياتها ..

يعشقها ! تحترق من أجله ويحترق من أجلها ، تذوب بينَ لسانه ويسلبها حريتها ..
سُمومها تَجري في شرَاييِنه ، وتُعِيد معها صور الماضي العنيف ..

استقام واقفاً ، وهمهم :
- كفنوني وادفنوني ، وأدعو لي لا علي ..
فلَست بعد اليوم حياً ..

.
.

الخطاب الحادي عشر : عشق عُذري !

لطالما كان ينتظر رسائلها بفارغ الصبر ، مُتيحة له الوقت كله.
كان يحدثها في مواضيع مختلفة ، دراسية أو ثقافية أو ترفيهية ، وكلمَا إنقطع الحديث ، كان يتوجع في سكون وتُؤدة. عاهد نفسه أن لا يبوح لها بهذا الحُب رغم نيته الطيبة.

كل يوم ، كان ينتظرها في هدوء. يتفحص رسائل بين الفينة والأخرى ويعيد تصويبها. وعندما يشعر بوجودها على الشبكة. يترصد رسائلها الإلكترونية بشغف.

لم يتساءل يوماً عن حبها له. ولم يهتم للأمر أبداً. يكفيه أنه يحبها ويتمناها حِلاً له.

كان ينتظر اليوم الموعود .. حتى يبرز سره الجميل. ويقصد قلبها من باب منزلها.
ويفتح حياته معها بموافقة من والديها.
لم يعشق جسدها .. أغرم بروحها وإحساسها فقط ..

وقد أصدق عهده .. وأوفى به.

.
.

الخطاب الثاني عشر : اقتباسات مرئية !

* استلقى على فراشه في جو هادئ .. اغتنم الشيطان الفرصة فوسوس له ..
فلما أذعن له وأطاعه .. إنقلب عليه وخاطبه : " إني بريء منك إني اخاف الله رب العالمين "

* تتراقص الأفكار حول رأسه في لحظات معينة .. بطبيعته المتشددة لم يؤمن بها ..
فهي على كل حال تبقى أفكار راقصة ، ماجنة.

* المرأة لا تبحث عن الرجل البطل أو الرجل المثالي أو الرجل الكامل ..
أو الرجل القوي .. هي تبحث فقط عن الرجل الرجل.

* طرح سؤالاً وسكت : متى يُصبح المُخ عقلاً ؟

* جمع أسرته حوله وخطب فيهم : " راودني حلم يقظة مثير وغريب أثناء تناولي وجبة ما بعدَ العشاء ، كنت أود أن أسرده عليكم ، لكن أبى أن يترسخ في ذاكرتي .. نسيته.

* لن تُحس بنشوة النجاح إن لم تُجرب خيبة الفشل .. فالنجاح هو نفي الفشل ،
أي أن الفشل بذاته يفشل.

* لكي تكتب بشكل غير عادي ، وجب عليك أن تنفلت من حياتك الطبيعية ، أن تبحر في سماء الكون وتتشرب من ريعان أسراره وهواه.

.
.

الخطاب الثالث عشر : بوصَلة الحُرية !

* ملهمي : جمهورية الفوضى.

البوصلة هي الأساس في كل حياة .. وحين نفقدها ..
فمن الطبيعي أن نجد من يجاهد ويسير عكس التيار ، ومن يتخبط في أعماله
وهو يحسب أنه يُحسن صُنعاً.

في عالمنا فقط ، استسلم الجميع لفكرة الفَوضى بعد أن اغفلنا تاريخاً مُشرقاً وصارت

حياتنا مبنية على تفاهات ورقية نتباهى بها في مناسبات عابرة.

في زمن الفوضى ، كل شيء يصبح ممكناً. وحين نعبث ببوصلة
تقودنا سيمضي الحال للأسوء حتماً.

الحرية التي نُطالب بها .. نشغف لمعانقتها وتقبيلها.
هي في الحقيقة مجرد مفهوم ساذج يُحرك أحلامنا .. أما واقعه فهو شيء آخر.

المطالبة بالحرية في زمن الفوضى هو تشجيع على الفوضى .
فحرية عالمنا تقتضي أن نتطفل على حريات الآخرين ، نمسها ونتعداها.
وهذا ما لا نجده في أعراف العوالم الأخرى.

لقد أصبحت أبسط حقوقنا أحلاماً يصعب علينا تحقيقها
مما جعل حلمنا الحقيقي يتلاشى شيئاً فشيئاً ..

.
.

الخطاب الرابع عشر : ابتسامات أمَل !

رغم كل الظروف القذرة ، يتمتم لإبنه :
- يا بني ، ليست كل الأقنعة تصدقُ معك .. كن أنت وحدك ، ولا تهتم للآخرين.
حتى لو أحسست في وقت معين أنهم يقطرون صدقاً ، اعلم أنهم في وقت ما
كانوا أشد الناس كذباً ونفاقاً وحقداً.

**

تواضع .. فموتك لن يهز أنظمة الكَون ..
ولن يذبذب الارض أو يُزلزها ..

ووجودك في هذا العالم ، كنقطة في محيط شاسع ..
لن يوقع الكواكب أو يغير مساراتها.

**

حتى العامل المَظلوم تجد على وجهه ابتسامة نقية ، طاهرة ..
خالية من الخِداع والنفاق ..
أحياناً تعبث بنا الحياة ، وتتمادى في طُغيانها .
وما علينا سوى أن ندعي أننا بخير ، ونبتسم ..

**

لم يَكن بجَانِبه حينها ، لكنه ابتكر عالماً جديداً يجمعه به ..
يرويه له ، يرسمه له ..
رغم الفوارق والغياب ، كان قريباً كأنفاسه العطرة.

**

جاهد وتعب في عمله ..
وعندما انتهى من تجهيز وبناء سفينته .. جَف البحر.

.
.

الخطاب الخامس عشر : مَفقودة !

تعيش بين الألَم والحُزن ، تعتصر كلما تذكرتها ..
تحنُّ إلى الأيام الخَوالِي والمرح والترفيه.

تجلس مُتكئة على كرسيها المتحرك ، وقد ابيض شعرها وتجعدت بشرتها ..
ما يزال صوت ابنتها المفقودة يترنم حول آذانها ويغص داخلها :
- سأعودُ يوماً ما .. حتماً سَأعود يا أمي.

وها قد تعدى غيابها العِقدين ، ولم يظهر لها أثر.

كُتب عليها أن تعيش داخل غرفة مظلمة كسعير مُحرق ، لا تحوي سوى ورق هرم ، فتته الدهور ولونته أصفراً ..

عيناها اصبحتا عاجزتين عن البصر ، أعماهما الشوق والحنين ، والفراق الطويل.
قلبها ملَّ طعم الصبر ، فلم يعد ينبض بعيداً عن نبضات قلب سيدته.

اشتاقت إلى كبدها المفقود لدرجة أن عينيها لم تعد تطيقان النظر إلى الفتيات.
فهن تذكرنها بابنتها الشابة التي هاجرت ..

الحزن حولها إلى عجوز تجعل من كرسيها المتحرك سريراً ..
ومن ظلام الليل غطاء ، ومن نجوم السماء أنيساً لوحدتها.
في انتظار فقيدتها ..

.
.

الخطاب السادس عشر : دَعوة للتَّـأمل !

جلس وحيداً على قِمة الجبل ..
بعد أن دعاه أخوه الأكبر إلى ممارسة اليوغا هناك.

اخترق بهدوئه كل الحواجز ، وقفز بمظلته الوهمية من القمة نحو القدم.
جلس مستمتعاً بالرياح تحرك شاربيه وشعره الناعم ، رغم الانقباض الذي يضغط على صدره.
تنفس بهدوء وراح يحرك يديه في الهواء .. ثم أغلق عينيه ..

خالَ نفسه مُنتصباً في قمة بُرج روماني عتيق متأبطاً ذراعي زوجته ، وبجانبه حصون الحماية والوقار ، وعلى جانبيه الخدم والحَشم. وبين يديه قِدرٌ قديم ، يفوح منه أريج الياسمين والأقحوان. وتصل أذانه أصوات الشعوب تهتف باسمه وبحياته.

طل من شُرفة حجرته العالية ، وحيا شعبه الجليل. على وجهه ابتسامة ساذجة كطفل حصل على لعبته بعد صراع طويل مع أمه. تراءت له من بعيد الجحافل القادمة لتحيته ، وأسفل شرفته جيش عرمرم يحمل صوره وشعارات ورقية تحييه وتوصل رسائلها إليه.

أحس بنشوة عارمة تغمره من أخمص قدميه إلى أعلى شُعيرات رأسه ، أمعن النظر في شعبه. ثم تمتم في نفسه : - أحبكُم ! لا أعدُّ شيئاً بدُونكم ..

بعد ثوان ، أحس بحركية على حين غرة ، فتح عينيه فإذا به قاب قوسين أو أدنى من السقوط من الجبل ، أمسك جيداً وقال :
- خسئت يا أخي .. ها هي دعوتك للتأمل كادت تقتلني ..

.
.

الخطاب السابع عشر : أقدار متناقضة !

* سمعَ صوتاً مألوفاً يناديه ، التفت بسرعة فوضوية كانت تعرقل سير الناس وراءه.
وقف لهنيهة دون أن ينبس ببنت شفة.
استمر واقفاً للحظات .. ظن أن أحدهم ناداه .. لكن عبثاً لم يجد.

* تعالى الصُّراخ من ذاك البيت المطلي بالأبيض.
رب الأسرة توفي صباحاً .. وكعادة المنطقة ، سيتلون البيت بالسواد.

* لم يتجرأ أحد على دخول تلك الحجرة المُظلمة. فمظهرها الخارجي يجعل الفزع يسري في جسمك. ورغم ذلك استطاع ذاك الكائن أن يخترق الحصن ويُنافس خوفه.
فور تعمقه داخل الحجرة سَمع أصدقاؤه صرخة قوية. والدماء تسيل من تحت الباب.
نظر الأصدقاء لبعضهم البعض .. وفروا هاربين.

* استمر الحديث لساعات .. وطال الحوار وتبادل الآراء بين الأطراف.
أما هو فبقي جالساً بينهم ، فاتحاً ثغره .. ما زال يحاول استيعاب وفهم كلمة : حوار.

.
.

الخطاب الثامن عشر : عشقٌ عُذري !

كان منهمكاً في إتمام كتابه القصير على حاسوبه ، كأس شوكولاتة ساخنة على يمينه ، وورق أبيض ونقي على يساره ، يجذبك للكتابة على سطحه الناعم.
كل شروط الكتابة والإلهام متاحة في هذه اللحظات. شعر بموجة فرح عارمة إلى أن قطع الصمت صوت رقمي يعلن وصول رسالة.
فتح النافذة المخصصة .. وبدأت الحكاية :

- هي : ألا زلتَ صاحياً والشمس قريبٌ بزوغها ؟
- هو : نعم يا أختاه .. جافاني الليل ومنع سباته عني.
- هي : ولم تمنع نفسك من النوم الهنيء ؟
- هو : وهل يمنع الإنسان نفسه من لذة النوم ؟
- هي : إذن ما ذنبك حتى يقسو عليك الليل بهذه الطريقة ؟
- هو : [لا يجيب] ..
- هي : لا بد من وجود سبب واقعي لهذا. أهو قلب بالحب هائم أم مجرد ذهن شارد ؟
- هو : [ضاحكا]. لا ، بل بطن عن الطعام عاكف ..
- هي : [تبتسم من خلف شاشة حاسوبها] . عجيبٌ أنتَ !
- هو : وأنت الغرابة بعينها.

- هي : ألن يُغمض لك جفن هذه الليلة ؟
- هو : بلى والذي نفسي بيده ، أظنني ذاهباً الآن.
- هي : أنا أيضاً مضطرة للذهاب الآن ، عُدت لأطمئن عليك فقط ..
- هو : ليلة طيبة ، حفظتك لي الملائكة.

.

.

رسائلٌ ، في شتى المجالات ..

تبحث عمن يستوعبها .. ويفهم مقاصدها !

.

.

الخطاب التاسع عشر : تَهيج التَّبعِية في حضرتكُم !

حدثَ ذات يوم مشؤوم أن رَمقت عينَاه الكُحليتان ، رهطاً من الشَباب في طَريقه نحو عَرَّافة ، كانت تُقيم في غياهِب بيتٍ مُظلم شاء القدر أن يتواجَد بحيِّه. حَكَّ مآقيه مُحاولاً التركيز في هذا المَشهد المُثير للاستغراب. بيدَ أنه لم يعتد أن يرَى شباباً في مقتبل العمر يمرون لزيارة هاته العرافة المتعجرفة ، التي كان عملها فيما سبق مقتصراً على النساء والأمهات كبار السن. صَمد في مكانه هُنيهة ، ثم أكمل طَريقه بعد أن أقسم بالأيمَان المُغلظة أن يكتب مَقالاً جديداً يخص هذا المَوضوع ، وها هو ذا أوفى بوَعده لنفسه .

الأسئلة تَتناثر على قلمِه الحَائر الذي يخط ، يُحاول تَكديسها وتكوينها في إطار يُمكن اسْتِيعابه وفهم مُحتوياته وإدراك ما يَحوم حوله. القضية هي مسألة فكرٍ وتبعيةٍ هَوجاء استقرت في قَعر عُقولنا وترسبت هناك. ليُطرح سؤال مثير بذاته ، وجب أن نجد له تفسيراً كافياً : أ نحن كائنات خُلِقَت لتنتج شخصيتها المُستقلة أم لتتبع ما أَلْفَت عَليه آباءها وأجدادها ؟

لا يُنكر عاقل أن الأفكار القديمة لها مكانتها المتوغِلة في المجتمع ، بل هي الدعامة الصلبة – مظهرياً - التي يرتكز عليها ، ما إن يحاول أحدهم المساس بها ، فمن المحتمل أن يهوي به المجتمع ويلقي به إلى جرف التكفير المفتري من قبل العامة. هذه الأفكار القديمة تُقدَّم للناس في إطار ديني حتى يتقبلها الكل ، ولا يمس في أحقيتها أو صحتها أي كائن بشري مسلم.
حين يتعلق الأمر بمسألة دينية مفبركة ، فكن على يقين ألا أحد سيتجرأ أن يناقشها أو يخوض فيها بحكم قدسيتها. وهذا هو المسوغ الذي جعل تلك الأفكار صامدة لحد الآن ولم تسقط عن عرشها. لذا فلا أن تلتصق هذه الأفكار الأسطورية القديمة بعقولنا ، بيدَ أنها تربت معنا منذ الصِبَّا ونمَت وعاشرتنا لحد الإلهام والشوق لها . هي بمثابة متاع ورثناه عن آباءنا وأجدادنا ، فهل يستطيع الإبن أن يغفل عن إرث أبيه ويرمي به إلى حافة الانهيار ؟ لا أظن ذلك.

[توقف الـأنس عن الكتابة للحظة ،أخذ رشفة صغيرة من فنجان القهوة الساخن الموضوع أمامه ، حرك رأسه يُمنة ويُسرة ثم حمل قلمه الأسود مرة أخرى ومضى يكمل ما بدأه] .

ما نَخْلص إليه أننا أمة حُكِم عليها أن تعيش مذلولة في أرذل العمر ، بيدَ أنها اتخذت العزة بأفكار ساذجة غير منطقية ، ولم تسْعَ لصنع فكر منطقي راقي يوازي إسلامها. فذاك العضو اللزج الموجود في جماجمنا لم يُخلق عبثاً ، وإنما ليؤدي عملاً مُهِّماً يكمُن في تحليل الأفكار وتصنيف الخاطئ من الصواب والإيمان بصحة محتواها. غير أن البعض عطَّل هذه الملَكة الربانية وجعلها مجرد حجر كلسي لا فائدة تنتظر منه .

وكلما جَنَّ ليل التبعية على دُنياه ، مضى يتمرغ في أوحال ما جادت به العقول المتخلفة من أفكار جاهزة لا تسمن ولا تُغني جوعه ونهمه للفكر. فبسلوكه هذا يتبعهم في خطئهم وإثمهم بل ويشاركهم الصالح والطالح مبرزاً صِدق المثَل السائر : في الجريرة .. تشترك العشيرة !

.

.

الخطاب العشرون :
في ذكرى سُقوط الأندلس !

" أجَل ، فلتبكِ كالنساءِ عَلى مُلك لم تَحفظه كالرجال "

كانت هذه آخر جُملة وَجهَتها الأم الحزينة لابنها أبو عَبد الله الصغير آخِر مُلوك الأندَلس. الذي توجَع وأذرف دُموع الذل والمَهانة ، بَعد أن شَهِد سُقوط المَجدِ واضمحلال أسطُورة الأندلس بين يديه العاريتين وأمام عينيه الغابرتين. الأندَلس جَنة الله في أرضِه ، مَصدر عِز الإسْلام والمُسلمِين ومَنارة للعِلم والفِقه وثَمرة اجتِهاد وتمَيز الفكْر الإسلامِي ، سَقطت وانتهَت بعْد أن أقَام بهَا المُسلمون دَولة مهِيبة استمَرت ثمانِية قُرون.

لا يُفيد البُكاء عَلى اللبن المسكوب ولا غنَى لنا في النَدب والرثاء على ذِكرى سَوداء طَبعت تَاريخ المُسلمين الحَافل بالعِزة والعُلو والنَصر. ولا جَدوى مِن اقامة الويلات على هزيمة نكراء نحنُ السَّبب في حُدوثها. تَصرُفاتنا الهَوجاء التي خَرجت عَن دين الله وحُرماته ، والانغماس في الشهوات والخَمر لَم تَشهد الأمة الإسْلامية لَه مثيلاً في تلكَ الفترة. ومُوالاة اليهُود والنصارَى والتحالف معهم مع إهمال الحذر من غدرِهم المألُوف.

كَبوة الأندَلس - كغيرِها مِن الكبَوات العَويصة - مَنحَت دُروساً قاسِية لَم يَنتفِع مِنها المُسلمون لحد الآن ، خاصة وأنهم لم يدركوا أن الحِكمة الإلهية شاءت أن يُقيض لهذه الأمَة من ينصرها ، ويَبعث من يُجدد دِينها الذي يَندثر ويَقل. خصُوصاً بعدَ أن أضحت الأندلس - في أرذل عُمرها - موطناً للصخب والعُري والخمر وحفلات الرقص ، لذا كان من الجدير أن يوضع حدّ لهذه المَهازل التي مَست أقنوم وأساسَ الدِين. عِلماً أن الأندلس كَانت فِي شبابها بؤرة للعلم والتقدم والقوة والثبات على العقيدة.

ثَاني الدُروس المُستقاة مِن سُقوط الأندلس هُو تَفادي الرفاهية والتبذير ، فسكان الأندلس وحكامها بالغُوا في الإنفاق على المَسكن والمَأكل وتَمسكُوا بالحَياة ، الشيء الذي أنسَاهم الدفاع عن ارضِهم ودِينهم وعَزفوا عن الجِهاد ، فهَانوا فِي أعيُن عَدوهم.

أما ثالث الدروس التي نَستخلصها ، سُوء التَدبير والحُكم والهَوان الذي كان السَبب المُباشر في خُروج المُسلمين وإبَادتهم من آخِر مَعاقل المُسلمين غَرناطة. فالمَلك الصَّغير سَلم بكل هدوء مَفاتيح المَدينة إلى

أيْدي المَلكيين إيزابيلا و فيرناندو بعد أن سحرته الملكة إيزابيلا بكلامها المنمق والمعسول. واكتفى بتوقيع مُعاهدة زادت الإذلال احتقاراً وازدراء.

إضافة إلى درس اجتناب النزاع الطائفي والأهلي بين المسلمين ومُحاولة الُصُلح بين القَبائل ومُختلف التَوجهات الإسلاَمية ، فقد نَشب النِزاع سَابقاً بين العَرب والأمازيغ ، وبَين الأشِقاء على المَناصب. سَاهم في إضعَاف الصَف الأندلسِي الإسْلامي بشكل كامِل. ولن نُهمل دور عُلماء السُوء في هذه النَكبة ، هَؤلاء الذين تقاعَسُوا عن عَملهم الدعَوي والأمر بالمَعرُوف والنَهي عن المُنكر ، واهتموا فقط بمدح الحُكام والملوك متغاضين عُيوبهم وجريرتهم. وقد وَصلت بهم الحقَارة لدرجة دَعوة الناس إلى الانسِحَاب والخرُوج مِن الأندَلس.

لا غروَ في أن التاريخ يُعيدُ نفسه مُجدداً ، وما عَاناه المسلمُون في آخر أيامِهم بالأندلس يَعكس بشكل وَاضح مَا نعيشه الآن ، مِما يُنذر بِبداية لسُقوط مجدٍ آخر. حَريٌّ بنا أن نُنقذه من الاندثار مَرة أخرَى ، قبل فوات الأوان.

.

.

الخطاب الواحد والعشرون :
أزمة لُغة .. وغزو فكري جديد !

كانت سابقة تاريخية جديدة شهدناها على شاشاتنا ، حينما تم تنظيم مناظرة تلفزية مثيرة بين المفكر عبد الله العروي و عيوش ، مناظرة استقطبت عيون المغاربة وجعلت أعناقهم تشرئب نحو الشاشات المسطحة بيدَ أن الأمر يتعلق ها هنا بتدريج المنظومة التعليمية – والتي لم تنظم قراراتها بعدُ – وكأن هم المغاربة الوحيد هو التعليم.

مسكين هذا الذي غره جهله وجعله يظن أن إدخال العامية في المقررات التعليمية سيكون له وقع إيجابي على عقول التلاميذ ، ومسكين هذا الذي يصدقه ويقتنع بما يقول ويمضي مفسراً أن التلاميذ سيستطيعون فهم الدروس لو تحدث الأساتذة بالعامية. على أساس أنه من الواجب علينا أن ندرسهم الفرنسية والإنجليزية بالعامية أيضاً ، والفروض تنجز هي أيضاً باللغة العامية.

اللغة العربية هي حضارة عريقة قبل أن تكون مجرد لغة تواصل وكتابة ، واستئصالها من التدريس المغربي سيحيل إلى إندراس ومحو الثقافة العربية الأصيلة من المجتمع المغربية وإسفاف بعقول المغاربة ، إضافة إلى إرداء الإبداع والفن اللغوي العربي كالأشعار والخواطر التي تعلم مبادئها وتناقلها كل جيل عن سابقه. لذا فإن مضمون هذه المذكرة التي تم تقديمها لرئيس المجلس الأعلى للتعليم ينم عن إنكار وجحود لهوية الأمة العربية التي ضربت التاريخ طولا وعرضاً، بل ويكفي فخراً أن اللغة العربية تولت مكاناً مقدساً واعتباراً إلهياً كونها لغة القرآن الكريم.

معضلتنا الكبرى أننا نستأثر بالتبعية الفكرية والعقائدية ونسعى بكامل قوانا الدفينة إلى تغيير ما نحن عليه إلى السلب ، مؤمنين بأن الثقافة الغربية ستطورنا نحو الأفضل. وهنا يكمن جوهر المشكلة فحذق الغرب لا يمكن أن نطبقه كلياً هنا وإلا فإننا سنقع في أخطاء فادحة ستكون الباعث والمحفز الذي سيبتل الشريان الوحيد المتبقي للأمة العربية وحينها لن يكون لا التحسر ولا الإنكثام كافياً لإعادة الهيبة التي ضاعت بضياع اللغة العربية. فكم من مرة قرأنا عن أمة استرجعت أراضيها المسلوبة لكنما لم يسبق لنا قراءته هو أمة استطاعت استرداد لغتها بعد خسارتها. لذا أشعر بغصة ومرارة في حلقي كلما قرأت خبراً عن هذه المذكرة السوداء لأنني استرجع ذكريات أليمة للدولة الآشورية التي انهارت وسقطت نهائياً حينما تخلت
عن لغتها الأصلية وعن ثقافتها الحقة لفائدة الشعوب الآرامية التي عملت جاهدة لتحقق هدفها المنشود ونجحت فيه في آخر المطاف. فبداية الغزو الفكري لكل أمة يبدأ بالتسلل للغتها الأم ومحاولة تخريبها من الداخل وقذفها إلى فيح الهاوية دون أي رد فعل من شبابها ولا شيوخها ، فما يجدر أن يفقهه البعض هو أن تدريج التدريس بالمغرب ليس سوى خطوة أولية يعتمدها بعض المنكرين بغية تحقيق مآربهم وأغراضهم المخفية تحت الرماد راعنين أن كل ملتمساتهم المفترية لن تتحقق على أرض الواقع وحتى في حالة إتمامها وإنفاذها فإنها لن تسمن غاياتهم اللاوطنية.

.

.

الخطاب الثاني والعشرون :
عقول مُوصدة بمَفاتيح صَدئة !

الفكر باعتباره نشاطاً عقلياً ، ينمو ويتطور مع كل استعمال وحركية ، تتركز فيه عمليات عقلية جديدة يمكن استغلالها في المرات القادمة .وبالمقابل فتحجر عقول البعض ناتج عن التخثر والكسل في تلك النشاطات العقلية الآدمية ، هي أشياء تبقى نسبية حتما. لكن الأمر يثير الريبة والتساؤل ، فهل هذه الأدمغة تستطيع إنتاج فكر راقي بذاته ؟ الجواب يكمن أساساً في العودة الى أصل هذه التبادلات العقلية ، وربطها بمفهوم تحجر العقول وتصلبها ما يُقصد به : توقف العمليات العقلية الفكرية.

من المحتمل أن تتم الإجابة مرة ثانية عن هذا التساؤل علمياً وفلسفياً ، باعتبار أن الفكر هو بحد ذاته عملية عقلية ، وأي تصلب وتوقف في العمليات العقلية ، يعني أن الفكر متوقف.

الفكر المنغلق يكون أقل قدرة على التعلم والانفتاح على الأفكار والآراء الأخرى ، حيث يؤمن بأفكاره ومعتقداته فقط ويضع التوجهات الأخرى في إطار الخطأ واللُبس. ينعدم الاستيعاب والفهم

ويقتصر العقل على محتوياته السابقة.

وإذا أمعنا النظر والملاحظة في سلوكياتنا ، سنكتشف أن الثورة الفكرية من المستحيل – حالياً – أن تصل الى حدود العالم العربي ، بحُكم أن بلدانه تتوفر على أبواب لا تعترف بهذه الكلمة ، ولا تسمح

بمرورها ، ولا تعترف بفكرة اختلاف الرأي. بل أكثر من ذلك ، الثورة بالنسبة لها مرادف للمظاهرات الدموية والتراشق والقتل والضرب ، والمخالفة الفكرية والعصيان المدني.

إن الثورة في حد ذاتها تتطلب جماعة تتسم بشجاعة الضمير ، وتحضر الفكر في عالم تعمه الفوضى المعرفية ، فكيف بشعب يتصارع من أجل صعود الحافلات أن يقود ثورة ؟

قيام ثورة فكرية تهتم بغسل الأدمغة التقليدية التي استوطنتها الأفكار القديمة هو أكذوبة يصدقها البعض ، باعتبار أن عصر الأنوار الأوروبي لن يتكرر هنا.

إن جاع البطن أكلنا وشبعنا حتى انتفخت بطوننا ، فما العمل إن جاع العقل ؟
معظم الناس يجوع عقلهم ولا يبادلونه ويطعمونه كما يطعمون بطونهم المنتفخة ، فلو كانوا يحسون بألم وغريزة الجوع العقلي ، لكانت عقولهم ممتلئة بالمعرفة والفكر الهادف والمستنير، حينها يمكننا أن نتحدث عن فكر جديد سيسطع نوره من ليل مهيب ، وعن ثقافة معرفية ستنجلي من الأفق ، حينها يمكننا أن نتحدث عن ازدهار وتطور الفكر العربي من جديد ، يمكننا أيضاً أن نتحدث عن نهضة فكر عربي تحيا وتسمو في سماءٍ عربية ، لكن في انتظار كل هذا ، ستبقى مجرد أزمة ثقافية فكرية تتنافى مع مجد التاريخ وتعكس الانغلاق الكُلي للباحات العربية.

.
.

الخطاب الثالث والعشرون :
في الجَريرة .. تشترِكُ العشيرة !

تناثرت الأسئلة على القلم الحائر الذي يخط ، ولا زال يحاول تكديسها وتكوينها في إطار يمكن استيعابه وفهم محتوياته وإدراك ما يحوم حوله. القضية ليست سياسية ولا اقتصادية أو اجتماعية ، بل هي مسألة فكرٍ وتبعيةٍ هَوجاء استقرت في قَعر عقولنا وترسبت هناك. ليُطرح سؤال مثير بذاته ، وجب أن نجد له تفسيراً كافياً وواقعياً : أ نحن كائنات خُلِقَت لتنتج شخصيتها المستقلة أم لتتبع ما ألفت عليه آباءها وأجدادها ؟

لا يُنكر أي عقل أدمي أن الأفكار القديمة لها مكانتها العريقة في المجتمع ، بل هي الدعامة الصلبة - مظهرياً - التي يرتكز عليها ، ما إن يحاول أحدهم المساس بها سيهوي به المجتمع ويلقي به إلى جرف التكفير المفتري من قبل العامة. فهذه الأفكار القديمة تُقدَّم للناس في إطار ديني حتى يتقبلها الكل. ولا يمس في أحقيتها أو صحتها أي كائن بشري مسلم ، لأن الأمر يتعلق بمسألة دينية مفبركة ،

وبالتالي فلا أحد سيتجرأ أن يناقشها أو يخوض فيها بحكم قدسيتها. وهذا هو المسوغ الذي جعل تلك الأفكار صامدة لحد الآن ولم تسقط عن عرشها. مما يحلينا إلى طريقة جديدة - تُضاف إلى سابقاتها تخول لنا الحفاظ على الأفكار الخاطئة في المجتمع وحمايتها من النقد والنقاش ، وذلك عبر تقديمها في قالب ديني زائف سيتركها حتماً بعيدة عن متناول الناقدين والمفكرين.

لذا فبديهي أن تلتصق هذه الأفكار الأسطورية القديمة بعقولنا ، بيدَ أنها تربت معنا منذ الصِبَّا ونمَت وعاشرتنا لحد الإلهام والشوق لها . هي بمثابة متاع ورثناه عن آباءنا وأجدادنا ، فهل يستطيع الإبن أن يغفل عن إرث أبيه ويرمي به إلى حافة الانهيار ؟ لا أظن ذلك.
وبالتالي ، فحريٌ بنا أن نتجاوز هذا الحل الذي الفارغ ، فلن يغير شيئاً في هذه المعضلة ولن يحقق هدفه من الأصل. كأنك تطلب من المدمن المخمور أن يقلع عن المخدرات والخمر ، فبديهي أن لا يستوعب كلامك ولا يطبق ما تقول في بادئ الأمر.ومع توالي الأزمة - كما وضحت سابقاً - فقد بدأنا نستشعر خطورة هذه التبعية العمياء للأفكار المهيأة. فهي مَروية من ينبوع الجهل والشرك ، وكل من شرب منه - ولو بضع قطرات - ستصيبه العدوى. ، ألم نستوعب يوماً أن هذه الأفكار نسبية وتقبل دائماً جانباً من الخطأ و أن العصور التي طُرحت فيها تختلف عن بعضها فكراً وتطوراً وثقافة.

العقل البشري يستلزم التجديد وتطوير الأفكار ولا يمكن للشخص أن يعيش سوياً إن لم يجدد أفكاره ويطورها نحو الأفضل ولا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأفكار المرتبة والمجهزة. في المقابل نجد أن مشاهد هذا التقليد الحرفي للأفكار والمعتقدات القديمة تتعدد وتتنوع ، فكثيراً ما نلقى شباباً ذكوراً وإناثاً لا ينفكون عن زيارة الأضرحة قصد التبرك بأوليائها أو يضعون بعض الرموز والشعارات على أجسامهم ويؤمنون بالهرطقات التي لا أساس لها ، لمجرد أن آباءهم وأمهاتهم كانوا يمارسونها. فالأمر هنا يتعلق بانتقال جيلي للأفكار وتتابعها من الأصل إلى الجذور القصيرة الهرمة ، بل تزيد عجزاً كلما شددنا عليها.

نحن أمة حُكِم عليها أن تعيش مذلولة في أرذل العمر ، لأنها اتخذت العزة بأفكار غيرها ولم تحاول حتى صنع أفكارها الشخصية ولم تتبع ما تؤمن به من أفكار توازي إسلامها. فذاك العضو اللزج الموجود في جماجمنا لم يُخلق عبثاً ، وإنما ليؤدي عملاً مهماً يكمُن في تحليل الأفكار وتصنيف الخاطئ من الصواب والإيمان بصحة محتواها. غير أن البعض عطَّل هذه الملَكة الربانية وجعلها مجرد حجر كلسي لا فائدة تنتظر منه . وكلما جَنَّ ليل التبعية على دنياه ، مضى يتمرغ في أوحال ما جادت به الجماعات الأخرى من أفكار جاهزة لا تسمن ولا تُغني جوعه ونهمه للفكر. فهو بسلوكه هذا يتبعهم في خطئهم وإثمهم وجريرتهم ويشاركهم الصالح والطالح مبرزاً صِدق المقولة : في الجريرة .. تشترك العشيرة !

.
.

الخطاب الرابع والعشرون :
ترشيد الخطابات السياسية بالمغرب

يَنبوع السياسة لا يَنضب ، ومواضيعها ونقاشاتها تتجدد دوماً .. لكن يحدُث في بعض الأوقات أن تسطو عليها أطياف الروبيضات من الأمة فتسلبها قيمتها وجوهرها ، وتحتل ثناياها حتى تُحولها إلى أحاديث ونقاشات عقيمة تكثر فيها أساليب الأخذ والرد والثنائيات الطفولية. والأنكى من كل هذا هو الاستغلال الجائر لهذه السياسة في تسيير المصالح الشخصية للبعض ، وخدمة رغباتهم ونزواتهم الهائمة. تتضوع منهم رائحة الخيبة والولع بالتفاهة ، وانقيادهم وراءها كالثعالب الجائعة يبقى مجرد رغبة مكبوتة تراودهم دوماً ، وتطلعهم لهذه السياسة هو في حد ذاته سياسة مَخفية ..

تتنوع الإيديولوجيات الماكرة التي يحيكها مدعُو السياسة الأجلاء ، وكلما هم أحدهم إلى عرقلة مسيرتهم فقد حكم على نفسه بالموت فكرياً ، وأعلن حرباً شرسة ستكلفه كل ما يملك ، وغالباً ما سينهيها منهزماً ، منهك القوى ، غير قادر على إتيانها مرة أخرى.وتتميز هذه الحروب المدبرة بأسلحتها الفتاكة ، من أساليب وكلمات ساخرة تُوجه للطرف الآخر ، إضافة إلى إطلاق التعابير والمصطلحات السياسية ، دون أدنى تدقيق في دلالتها اللغوية أو النحوية وأبعادها على الموقف المجتمعي.

كل هذا يجعل النظام السياسي بالمغرب على حافة الجُرف ، متأرجحاً بين الأزمات الحزبية الثنائية والشخصية. مما يحث على ضرورة ترشيد الخطاب السياسي بالمغرب وتحديده في ظل التجاوزات الواضحة التي تنتهك حُرمة السياسة وتمسُّ صُلبها وأساسها.

ويبقى من أهم سبل ترشيد الخطاب السياسي ، سن قوانين تشحذ أساليب النقاش والحوار في إطار الفعالية واحترام المواقف المعارِضة. ثم استشعار هيبة المنصب المتولى قبل الحديث ، مع تجنب النقاشات الثنائية الهمجية التي تُملي هي الأخرى ضرورة تشكيل لجنة مكونة من أساتذة ودكاترة سياسيين ، مهمتها مراقبة الحوارات التواصلية السياسية وطرح ضوابط ومحددات البرنامج الجدالي كلما تطلب الأمر ذلك.

لا يحتمل متتبعو الشأن السياسي بالمغرب الإصغاء إلى حكايات وسيناريوهات مُبتدعة ، تُستخدم فيها لغة غير دقيقة وساخرة. وظيفتها الوحيدة هي التهريج وخلق ابتسامات عريضة على أوجه السياسيين الأبرار وتبادل الرشق بعبارات القذف والاستهجان.
نريد حواراً سياسياً جاداً ، يهدف إلى تصحيح الأخطاء والهفوات بدل اصطيادها ، وضبط منجزات الحكومة ونواقصها. بلغة قويمة ومصطلحات ومفاهيم مناسبة ، تُعفينا من الوقوع في شرك الاستسهال وتعميم الأفكار الخاطئة وإشاعة السفاهة والضحك الطفولي أمام العامة.

.
.

الخطاب الخامس والعشرون : طحالب فيسبوكية .. تنتحر !

مُلاحظة : هذه التدوينة غير مُناسبة للأطفال اقل من 12 سنة، لأسباب عديدة أهمها تشبعهم بما جاء فيها من أفكار لن تُسمن عقلهم ولن تسد جوعه ونهمه .وفي رواية أخرى ، قالوا أنها غيرُ صالحة لمن تعدت أعمارهم الستين لظروفهم العويصة.

من السيء أن تتَوالى على أحاسِيسنا الويلات والحُزن ، وتحُوم حول جَماجمنا الصلبة أفكارٌ سلبية تُظهِر ضعفنا وجُبننا أمام الناظرين والمراقبين. والأسوء أن لا نشعُر بالخزي من ممراستها وتطبيقها رغم عِلمنا السالف بخطورتها اجتماعياً ودينياً على حياتنا .

حينمَا نتحدثُ عن الفيسبوك أو العالم الإفتراضي ككُل ، فنحن هنا نتكلم عن ملايين من المستخدمين من مُختلف الأجناس والأعمار والجنسيات. تفرقهم المسافات ويجمعهم هذا العالم المليئ بالفوضى. فيتم تبادل الأفكار المغلوطة ومقايضة كل واحدة منها بأختها .مما يترتب عنه تغيير ثقافي في المستوى الفكري للفرد.

ومن نماذج هذا التغيير المفاجئ ، بعض الكائنات التي لا تجد إلا الهَم والكرب كمحور أساسي لها ، لا تنفك عن نشر خواطر الغُمة والأسى ومحق بقايا السعادة الممنوحة إلهياً عن نفوسها. فمنذ القراءة الأولى لتلك الكلمات المُبكية ، تستشعر التعاسة التي تعيش بين عتباتها هاته الطحالب العائمة.

ويُعرف هذا الإنكثام الإفتراضي غالباً لدى طبقة الشباب المثقف الذي غلبت على توجههم الوحدانية والكرب وزادت ثقافتهم ومعرفتهم على حدها المسموح ، فتبدأ مضاعفات هذه الزيادة على الجانب العاطفي والإحساسي لهؤلاء ، وتعبث في أوصالهم ، لتصل بهم إلى جُرف الإنتحار في بعض الأحيان!

من الحيفِ أن تُضيع مَواهب وطاقات شباب متميز في الكتابات الكئيبة والحزينة التي تغرقُهم في بحر البؤس والألم ، نريد إبداعاً فكرياً وأدباً ، نريد شباباً مسؤولين على تصرفاتهم وأفكارهم ، لا شباباً تُذببهم الأمواج من سيء إلى أسوء (الانتحار) .. *

أتعبتُم عيناي وأجهدتُم تفكيري في محاولة معرفة أسباب حزنكم وآلامكم والترفيه عنه، لكن عبثاً لم اوفق في مُحاولاتي ، فرجاءاً .. إرحمونا يا ناس*!

*نماء نسبة الإنتحار لدى الشباب ، وامتلاء حساباتهم برسائل الإنتحار..

*دعوة خالصة والتماس لهؤلاء ، حتى يتوقفوا ولو لبرهة عن نشر آلامهم في العلن..

.
.

الخطاب السادس والعشرون : كرمٌ عربي .. مُخز للغاية !

أثناء تصفحه للموقع الإجتماعي فيسبوك في أحد الأيام ، فُوجأ بكم هائل من المنشورات التي تتحدث عن وفاة ذاك الممثل الأجنبي " بول والكر " ، علماً أنه لم يكن يفرَسه ولا يعرفه من قبل. ليُدرك فيما بعد أنه بطل لإحدى الأفلام الشهيرة. تعجَّب وبُهتَ وتبادر لذهنه سيل من الأسئلة التي استشكل علي إيجاد أجوبة لها : هل تحدثنا وحزنا حينما مات آلاف المسلمين في بورما وسوريا ؟ هل سبق وسمعنا عن حزن الغرب لوفاة مسلم ؟ إذن لماذا نصر على ذل أنفسنا ؟ ألا يكفينا ما وصلنا إليه من تبعية عمياء ؟

الظاهر أن تصرفات المسلمين تنم عن كرمهم وحبهم المُبالغ لمساندة الآخرين في السراء والضراء ، كيف لا ونحن نحتفل معهم بأعيادهم الهالوين والكريسماس وغيرها أكثر مما نبجل ونحتفل بأعيادنا ، بل ونغتم لوفاة أجنبي ولا يصيبنا أي تأسف أو تحسر إذا ما توفي مسلم. بالله عليكم أي كرم أكثر من هذا ؟

الخِزي والعار سيبقى ملازما لهذه الأمة طالما تفكيرنا منصب نحو ثقافة الغرب حتى نسينا إخواننا وفصيلتنا وتغلغلنا في الوسط الأجنبي ، نشجو لضرهم وكربهم ، نبتهج ونغبط لمسراتهم وأفراحهم. ولا علاقة لنا بما يجري في الوسط العربي الإسلامي.

ما يثير حفيظتي ، هم بعض الأشخاص - عريضي القفا - لا ينفكون عن توهيم أنفسهم ونحن معهم بمبررات لا تقل غبارة وجهلاً عنهم ، لا يمكن للعقل المنطقي تقبلها أو الرضي بها. فالاقتران بالثقافة الغربية ما كان ولن يكون الحل المثالي والواقعي ، لن يفيدنا بشيء سوى أنه سيمطر علينا سيلاً من التعقيدات ولن ينتج عنه سوى إرداء الأمة في قبرها وإطفاء شعلتها التي كانت يوماً ما ملتهبة ونيرة يفزع من لهيبها كل الخصوم والأعداء.

نحتال على أنفسنا بقولنا أننا مسلمون ، والإسلام غائب ومفقود في سلوكاتنا ، وأخص بالذكر ها هنا سكيزوفرينيا البعض وانفصام شخصيتهم بين ادعاء الإسلام والعمل به. ليس حُكماً بقدر ما هو انتقاد شامل ، فالإسلام لم يقض بالحزن على الأجانب وإهمال إخواننا ، دون أدنى غيرة أو أنفة تعتري خواطرنا. ودون أي نَخوة إسلامية عِند وفاة أو استشهاد من هم من بني ملتنا وجلدتنا. القضية لا تتعلق بمقت أو بغض الأجانب أو المسيحيين ، إنما هي مسألة عزة إسلامية نهوي بها بأيدينا نحو الدرك الأسفل.

غدا من اللازم علينا أن ننسلخ ونَنزح عن كرمنا الضار والمُضِّر ، فمذ بدأنا الاتِّصاف ومُبادلة الآخرين به ، تزايد معه اطِراداً الخزي والعار الذي استوطن هذه الأمة ، مُنذراً بزوالها وارتباطِها مع الغرب كلياً.

الخطاب السابع والعشرون :
جاري فرنسة العقل المغربي !

غريبٌ كيف أن المواطن المغربي لا ينتبه إلى ما يدور حوله من مؤامرات مكشوفة رغم خفاء منفذيها ، فاتحاً ثغره غير مبالٍ بما يقع له من غسيل للدماغ و مسح عشوائي للأعراف الإسلامية ، ومحو للثقافة العربية المتجلية في اللغة العربية ، التي ما فتئت تتدهور حالتها من سيء إلى أسوء. ولن نتعجب إن لم يستطع أبناؤنا يوماً تكوين جملة مفيدة بكلمات عربية . حينما ننظر للأمر بعين مثقف ، فطبيعي أن نكتشف ما يسعى إليه البعض بمخططات ، هدفها المنشود هو استعمار العقول المغربية الأصيلة واستئصال مفهوم الإسلام من طياتها ، واجتثاث إلهام اللغة العربية من نفوسها ، ووصلت بهم الحقارة إلى درجة إبدالها بلغة أقل قدراً ومرتبة يسمونها : الفرنسية.

أذكر ما حصل لأحد الإخوان - لحظة ! لا أقصد الإخوان المسلمين - ، لمَّا اتصل بنية خالصة ، بإحدى وكالات الإتصالات ، ضغط على زر المحادثة العربية منتظراً جواباً عربياً بما أننا في دولة تُعتبر عربية ، لكن تخمينه كان خاطئاً تماماً. بيدَ أن جواب تلك " الفرنكوفونية " كان دنيئاً كفِكرها ، و " بَنْجَغَتْ " عليه كما اعتادت مع الجميع. ليصل الأمر إلى الآخذ والرد بين كلا الطرفين - بعد أن رفض لغتها - ، ثم انتهى الأمر بشكوى رفعها الأخ إلى المسؤولين في الوكالة .بيت القصيد ، أن جذور هذا التأثير التام والوافي تفرعت وبلغت حد المؤسسات العمومية والحكومية .ولم يتبق سوى إقرار اللغة الفرنسية كلغة رسمية في الدستور حتى يريحوننا من الحديث والكتابة .

في ظل كل هذا ، لا زالت بعض القطعان تَتَبَّركُ باللغة الفرنسية وبالأفكار والمعتقدات الفرنسية ، مُقدمة إياها في ثوب تَطويري ساذج . يكذبون الكذبة على أنفسهم ويصدقونها ، ثم يتقيؤونها على العامة بدعوى أن الشخص الذي يتحدث اللغة الفرنسية ومتشبع بالفكر الأجنبي ، هوكائن متطور فكرياً والعربية في حد ذاتها هي وصمة تخلف على جبين متحدثها وكاتبها ، كما يزعمون .

أضحى الناس كغُثاء السيل ، قليلون من يتشبثون بهُويتهم وبلغتهم ، ومن بين هؤلاء حركة فيسبوكية جديدة شعرت بالحنين للغة الأم ، وتطالب الآن بالعودة إلى اللغة العربية ، بادرة طيبة يُشكرون عليها ، فلا مَناص للمغاربة من هذه " الفرنسة " سوى إحياء ثقافتهم الأصيلة وإيقاف هذا الإنصباب العرم الذي يجرُّ معه كل أنواع القاذورات ، لا مجال للترحيب بالأفكار الأجنبية المدسوسة والمخلفات المقذوفة نحونا ، وأقل جهد يمكن بذله في سبيل إرداءها هو طردها كلياً من الوسط المجتمعي.

أما إذا استمر الحال على ما هو عليه ، فلن تنتظر فرنسا سنوات من أجل استعمارنا كما فعلت فارطاً، بل سيكفيها بضعُ سُويعات أو أقل حتى تغزونا بالكامل !

الخطاب الثامن والعشرون :
مشاهد من احتفالات رأس السنة !

ما زَال الشعبُ المَغربِي يُعاني خَللاً دِماغياً عَجِيباً ومُبهِراً لم يَستطع حتى أبرز عُلماء العَصر إيجادَ ترياق أو دواء لعلاجه ، ولن يتمَكنُوا مِن ذلك أبَدَ الدَهر بيدَ أن شَعبنا العزيز يتميز بتركيبة فِكرية مُحيرة تتأرجح بين مَظهرين ، تَارة يبدُو كصَحابي جَليل يَنضخ قلبه بالإسْلام والإيمَان ، وتارة أخرى كأنكَّ تُحدِث سَيداً مِن قادة قُريش.

لَحظة ! لا تَخالُوا حديثي عَن قريشٍ أو الصحَابة حُكماً على مَرتبة الإيمَان والإسلام لدى عُموم الشعب المغربي ، بل هي مُقارنة بسيطة تبرز انفصام الشخصية التي نُعانِي منها وحِذقنا الفني في إخفاء حقيقة مُعتقداتنا.

نَعُود القَهقَرَى لحَديثنا السالِف ، ولنناقِش الموضوع من مَنحَى واقِعي دون افتراء على حقيقتنا المُرة. هل قُدِر علينا أن نتبع ما جادَ به الغرب وديانَاته من أفكار طيلة حياتنا ؟ وهل سَبَقَ أن ورد لأذنيك خبر عن احتفال المسيحين بعيد الأضحى أو ذكرى مولد خير البرية صلى الله عليه وسلم ؟ فلمَ نَبغِ الدَنِية في دِيننا ونحن أعِزاء به ؟

صَعبٌ للغاية أن نستشعر انقلاب موازين القِوى بهذه الطَريقة ، بعدَ أن كانت الأمة الإسلامية ككُل نموذجاً يُحتذى به ويُضرب له ألف حساب. انعكست الآية الآن وصِرنا مجرد دُمى تُحركها خيوط أجنبية من الأعلى دون أدنى وعي بمرارة سلوكاتنا.

من المُستوَى الفِكري والتبعية الهوجَاء إلى مُستوى الإسفَاف والسَفالة الإعْلامية التي تتكرر رَأس كل سَنة مِيلادية ، حيث تُطل علينا قنواتنا " الشَريفة " بسَيل مِن السَهرات وحَفلاَت الغِناء والرَقص المَاجن ويبقى الحل الأوْحدُ والأنجَعُ هُو هَجرها في هذه الفترة ، أو إلى أبد الآبدين أرْيَحُ وأسْلَمُ لنا ولكم. أما الوَضع المُخز ، حينمَا تَرى بأم عينيكَ رَهطاً مِن هذه الأمة يَسعى إلى الاحتفال برَأس السنة مُبذراً بذلك مَالَه ونَفسه ووقتَه ، وعلى وجهه ابتسامة شَرهَة غير مُبَال بسَذاجَتِه وبلادَتِه وسُوء تصرفه تُجاه دينِه وفِكره وكَرامتِه.

تُسترَق الأنظار مِن بين الردهات إلى تِلكَ الفَنادِق الخُماسِية التي لا تنفك عَن استغلال الفُرص المكبوتة ، وتمضي في تنظيم حفلات مِلؤها الشَراب والسُكْر والعُهر اللاأخلاقي تحت مُسمَى وَهمي : حفل رأس السنة.

تسيل القاذورات سِياقاً كخيوط من سَماء عقولنا ، فرَجاءاً لنحترم ديننا وتاريخنا المُشرف ولا نَزد أزمة العقول بأزمة التبعية في احتفالٍ ، حرمَهُ البابا الفاتيكان نَفسُه .

الخطاب التاسع والعشرون :
استغلال تربوي .. و بيداغوجي !

* مُلاحظَة : الـ أنا في هذا المقال لا يُقصد به الكاتب وإنما التلميذ المُستغَلُّ بشَكل عام.

لطالما نأيت بنفسي عن بعض المواد الدراسية ، لوجع يُلم بي كلَّما هَممت بالتركيز في حوارات وتوضيحات أستاذها. رغم أني أجدُني مُرغماً على الاستماع لإضافَاته خارج إطار الدرس لحاجة في نفسِه ولرغبة في أشياء أخرى ..
لا أتهم الأساتذة ولا أقلل من شأنهم ، ولا أنا من جحافل المنتقدين والحاسدين الذي يَسعون دائماً للمساس بقيمة الأستاذ. وإنما أود توضيح وجهة نظري حول السياسة المتبعة من طرف بعض الأساتذة في شرح بعض الدروس خاصة بمادة الفلسفة ، حيث تكثر الآراء والتصورات المتضاربة والمتعاكسة. ويُحاط الأستاذ بسيل من الأسئلة الملقية من طرف تلاميذه والتي تخرج في غالب الأحيان عن الموضوع الأصلي للدرس.
الشيء الذي يدفع ببعض الأساتذة إلى استغلال الوضع وتمرير خطابات سياسية وفكرية لتيارات متنافية مع الشريعة الإسلامية ، وإن كان ميثاق الأساتذة يمنعهم من انتهاز مهنتهم في سبيل تضخيم مصالح تياراتهم المحسوبة أو توجهاتهم.

إن طبيعة مِهنة التعليم تقتضي من المُعلم الرسول أن يسعى لتوضيح المبادئ والدروس في جو من الموضوعية والمنطقية العقلية ، ولا ينسب أفكاراً لنفسه ويحاول إقناع تلاميذه بصحتها وواقعيتها من خلال حجج تبدو للتلميذ مقنعة.
ولنفترض جدلاً أن الأستاذ طَرح تصوراً فلسفياً أو فكرة سياسية مقرونة بدلائلها ، فالعدل أن يُلقي بالتصور المضاد وبحججه أيضاً حتى يستطيع التلميذ اختبار مكتسباته الحجاجية والثقافية واختيار الفكرة التي أرضته بعيداً عن الانحياز لتيار مُعين فقط لأن الأستاذ السالف يؤمن به ويتبعه.

في عُرف ما ألفناه من سَاستنا وولاة أمورنا بالمَغرب ، فالتعليم وُجِد لكي يُوفر للتلميذ طرقاً للاستدلال والفهم ، مع ضمان كامل الحرية للتلميذ في اختيار أفكاره ومعتقداته. ولا يحق للأستاذ بأي شكل من الأشكال أن يتدخل في هذه السيرورة الفطرية سواء ببث أفكار شخصية وتلمِيعها وقولبتها في سَبْك دراسي ، كما نرى حالياً من مظاهر استغلالية لا علاقة لها بمهنة التعليم ، يستثمر الأستاذ إيديولُوجياته وكل مَعارفه من أجل إنجَاح خطته التي ستجلب له يافعين جدد يحيون التيار من سُباته وينشرونه بالموازاة في أوساطهم.

الخطاب الثلاثون : علمانية الضرورة وإلحاد التبختر !

كلما ذُكرت كلمة العلمانية إلا وربطت في نفوسنا نوعاً من الاشمئزاز والرعب الفكري ، إما لتصورات مسبقة حولها أو لسوء فهم لمبادئها وأساسياتها أو لحاجة في أنفسنا.
العلمانية كتوجه فكري ظهر منذ قرون بهدف إصلاح المنظومة السياسية التي وسمتها الطباع المتنافرة و الإيديولوجيات الدينية المتعاكسة التي جعلت السياسية ساحة معارك طائفية وعقائدية ضارية. فهذا التيار جاء بعد أخطاء فادحة في اتخاذ القرارات الصائبة التي ترضي جميع الأطراف خصوصاً في ظل وجود أنواع مختلفة من الأديان والتوجهات في الدولة الواحدة.

العلمانية من منظورها الحقيقي ، لا تحمل للأديان أية ضغينة. فهي صالحة للدول التي تشهد اكتظاظاً في الديانات ، فتجد ربع الشعب مسلماً والربع الثاني مسيحياً ، والثالث يهودياً والرابع بوذياً أو بهائياً. فلن يصل الحاكم كيفما كان إلى حال يرضي جميع الأطراف ، وتحتم الضرورة اتخاذ العلمانية كنظام سياسي للدولة تجنباً لأي مشاكل قد تُفتعل ، وتضمن الحريات لكل شخص في ممارسة شعائره الدينية في ظل ما يضمنه الدستور والقانون.

أما حينما نتحدث عن دولة إسلامية الشعب ، وتوجد بها أقليات عرقية ودينية. فالحديث عن العلمانية سيكون على العكس من سابقه ، النقطة التي ستفيض كأس التظاهر والاحتجاج لمجرد التفكير في علمنة الدولة.

بيت القصيد ، العلمانية كتوجه سياسي تحتمه ضرورة انقسام الشعب بالتساوي إلى ديانات مختلفة ومتنوعة ، حينها تصير العلمانية الحل الوحيد واللازم لاتقاء المشاكل والمواجهات.

ويرمي بنا الحديث إلى الخلط الواضح بين العلمانية والإلحاد ، رغم أن كلا المفهومين يحيل إلى مجالين مختلفين ، الأول سياسي اقتصادي والثاني ديني وفكري. الإلحاد - حالياً - صار موضع افتخار وتبختر للشباب المتهور ، فكلما انتهى أحدهم من قراءة كتاب فلسفي وجودي وميتافيزيقي ، يتوج قراءته بطرحه لتساؤلات وجودية وشكوك في وجود الإله ، وتلقيب نفسه بالمُلحد دون أدنى علم حتى بمعنى الكلمة أو حتى خباياها ومبادئ هذا التوجه.

ومن بين أهم الشبهات والأفكار ، يزعم الملاحدة أن العقول عاجزة عن تصور كنه الإله وذاته ، وما عجزت العقول عن إدراكه وتصوره فهذا دليل على عدم وجوده. وهذه أقوال باطلة منطقاً وعلماً ، أول ما يُرد عليها أن ظهور الإله وتصوره لا يجعل منه حينها إلهاً ، فكل ما تُدركه أبصار الإنسان لا تجعله رباً أو إلهاً عليه. فالإيمان الخالص يكون بما يخفَى. فطبع الإنسان لا يجعله يؤله ما يراه وما يُدركه.

ولو اتبعنا برهانهم المتسلسل هذا ، فحَري بنا أن ننكر كثيراً من أسرار هذا الكون لأننا لم نراها ولم نتصورها. أي أن نُنكر وجود مجرات أخرى وطبقات سُفلى للأرض ...
فإن لم يستطع الإنسان بعلمه ومعرفته إدراك أشياء تُعتبر بسيطة بالنسبة له ، فكيف يطمع بعقله أن يصل إلى حَد معرفة حقيقةِ الخالق عز وجل ؟

.

.

إنتهى

مَخرج } ..

الجزء الأول من الخطابات انتهى ..
ثلاثون خطاباً تائهاً .. متأرجحاً .. برسائل مُختلفة ،
وأراء متباينة. قد نختلف في العقيدة والتوجه والفكر.
لكن الإنسانية والاحترام يجمعنا.

نلتقي في الأجزاء القادمة من الكتاب.
يمكنكم متابعة جديد الكاتب من خلال :

https://www.goodreads.com/author/show/7801866._
https://www.facebook.com/lenspotter

للحدِيث بَقية ..

الفهرس

- حول الكاتب ..... الصفحة 2
- مقدمـة ..... الصفحة 3
- مَدخل توضيحي ..... الصفحة 4
- الفئة 1 : تراتيل وخواطر ..... الصفحة 5
  + الخطاب الأول : قدر على لائحة الإنتظار ..... الصفحة 6
  + الخطاب الثاني : مذكرات كائن ..... الصفحة 7
  + الخطاب الثالث : نحو السعادة التعيسة ..... الصفحة 8
  + الخطاب الرابع : رحلة .. إلى اللانهائية ..... الصفحة 9
  + الخطاب الخامس : رسالة أب ..... الصفحة 10
  + الخطاب السادس : هواجس ليلية ..... الصفحة 11
  + الخطاب السابع : مُطاردة ..... الصفحة 12
  + الخطاب الثامن : مناظرة عند اكتمال البدر ..... الصفحة 13
  + الخطاب التاسع : مُتخلف عن الحرب ..... الصفحة 14
  + الخطاب العاشر : هَمهمة جماد ..... الصفحة 15
  + الخطاب الحادي عشر : عشق عُذري ..... الصفحة 16
  + الخطاب الثاني عشر : اقتباسات مرئية ..... الصفحة 17
  + الخطاب الثالث عشر : بوصلة الحرية ..... الصفحة 18
  + الخطاب الرابع عشر : ابتسامة أمل ..... الصفحة 18
  + الخطاب الخامس عشر : مفقودة ..... الصفحة 19
  + الخطاب السادس عشر : دعوَة للتأمل ..... الصفحة 20
  + الخطاب السابع عشر : أقدار متناقضة ..... الصفحة 21
  + الخطاب الثامن عشر : رسائل قَصيرة ..... الصفحة 21

- الفئة 2 : رسائل فكرية وسياسية ..... الصفحة 23
+ الخطاب التاسع عشر : تهيج التبعية في حضرتكم ..... الصفحة 24
+ الخطاب العشرون : في ذكرى سقوط الأندلس ..... الصفحة 25
+ الخطاب الواحد والعشرون : أزمة لغة وغزو فكري جديد ..... الصفحة 26
+ الخطاب الثاني والعشرون : عقول موصدة بمفاتيح صدئة ..... الصفحة 27
+ الخطاب الثالث والعشرون : في الجريرة ، تشترك العشيرة ..... الصفحة 28
+ الخطاب الرابع والعشرون : ترشيد الخطابات السياسية ..... الصفحة 30
+ الخطاب الخامس والعشرون : طحالب فيسبوكية ..... الصفحة 31
+ الخطاب السادس والعشرون : جاري فرنسة العقل المغربي ..... الصفحة 32
+ الخطاب السابع والعشرون : كرم عربي ، مُخز للغاية ..... الصفحة 33
+ الخطاب الثامن والعشرون : مشاهد من احتفالات رأس السنة..... الصفحة 34
+ الخطاب التاسع والعشرون : استغلال تربوي ، وبيداغوجي ..... الصفحة 35
+ الخطاب الثلاثون : علمانية الضرورة ، وإلحاد التبختر ..... الصفحة 36
مخرج ..... الصفحة 38
الفهرس ..... الصفحة 39

وها قد انتهَت رِحلتنا الرمَادية ،
وعانقت أرواحنا الطاهِرة نفحات خاطرية وأفكار مُتباينة ..
أريجُ ياسمين عمَّ المَكان ، وتلوَّن الهَواء المُحيط بلون الرَّمادِ ..

جَرت بنا الصَّفحات المُتوالية رُغماً عنا ..
وحَملتنا مَعها إلى عَوالم جَديدة من القصَص
الحِسية والتوجُهات الفِكرية ..
حَملنا الجُزء الأول من الكِتاب القصِير إلى عالم الأحاسيس ،
والنفس الإنسانية حين تُترك وشأنها وتستسلم إلى أقدارها وأوهامها.
وكلما أنصَتت إلى همساتها ، تلقت ضربة قاضِية في عُمقها ،
تُردِيها إلى الأبَد !

أما الجُزء الثاني ، فقد نَقلنا إلى عَالم منطِقي عقلاَني ..
تتركز فيه الأفكار والإيديولوجيات في مُختلف المَواضِيع الفِكرية والسياسية والتاريخية ،
وتستوطنه انتقادات صَريحة لمَا عِشناه ونعيشُه من تَحولات في جميع المَجالات ..

مطبعة الخالد للثقافة
و النشر المعرفي

دار الأنس للنشر و التوزيع

استنشِقوا الكَلمَات .. حتى تَعيشُوا !